الشمال والجنوب

للدكتور احمد الحوفى

بيد إلى الذهن أول وهلة أن الناس جميعاً يعرفون الشمال ويعرفون الجنوب ، لأنهما الجهتان الأصليتان اللتان تكملان الجهات الأصلية الأربع وهى الشرق والغرب والشمال والجنوب .

وقد يتساءل بعض الناس عن السبب فى تخصيص الشمال والجنوب بدراسة ، بل قد يعجب من هذا التخصيص .

فما الداعى إذن لبحث عن الشمال وعن الجنوب ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال أضيف إلى العجب من دراسة الشمال والجنوب عجباً آخر هو أن كلمتى الشمال والجنوب لم تردا فى معاجم اللغة بمعنى الجهتين أو الناحيتين المعروفتين ، بل وردت كل منهما على على أنها اسم لنوع من الرياح هى الشمال والجنوب فلنستشر علماء اللغة . ثم علماء الجغرافية ، ثم نعقب بالرأى .

اولا : فى معاجم اللغة

المعاجم كلها تذكر أن الشرق هو الجهة التى تشرق منها الشمس . والغرب هو الجهة التى تغرب فيها الشمس .

لكنها لم تذكر — فى مادة شمل وجنب — أن الشمال والجنوب جهتان ، بل ذكرت أنهما ريحان[1].

١ — الشمال

قال ابن دريد ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) الريح الشمال معروفة ويقال لها شمال وشَمْأل وشامل بلا همز[2].

وقال الأزهرى ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) :

الشمال : ريح تهب من قبل الشام عن

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثالثة من مؤتمر الدورة الثامنة والأربعين بتاريخ ٣٠ من ربيع الآخر ١٤٠٢ هـ ، الموافق ٢٤ من فبراير ١٩٨٢ م .

(١) ماعدا المعجم الوسيط فقد ذكر فى مادة جنب أن الجنوب الجهة المقابلة للشمال ، والريح التى تهب منها ، وفى مادة شمل أن الشمال الجهة التى تقابل الجنوب ، والريح التى تهب من تلك الجهة .

(٢) الجمهرة لابن دريد ٣ / ٧١

يسار القبلة ، والشمأل لغة فيها ، ويقال شأمل وشَوْمَل وشَمْل وشَيْمل ..

وأشمل يومنا : إذا هبت فيه الشمال .

وغدير مشمول : شملته ريح الشمال أى ضربته فيبرد ماؤه .

ونقل المادة عن أبى عُبَيْد وأبى عبيدة وأبى زيد والأصمعى والكسائى والليث وأبى حاتم وابن السكيت وابن حبيب [1].

وقال الزمخشرى ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) غدير مشمول : تضربه الشمال ، وليلة مشمولة : باردة ذات شمال ، ونَوًى مشمولة : مفرِّقة بين الأحبة ، لأن الشمال تفرق السحاب [2] .

وقال ابن منظور ٧١١ هـ (١٣١١ م) : الشمال الريح التى تهب من ناحية القطب ، ونقل عن المحكم لابن سيده وعن ثعلب وعن ابن الأعرابى ما سبق أن نقله الأزهرى ، وقال : إنها تكون اسما وصفة [3] .

ولم يخالف الفيروز ابادى ٨١٧ هـ (١٤١٤) م فى شىء من هذا ، وزاد عليه أنها لاتكاد تهب ليلا [4] .

ثم جاء الزبيدى ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) فردد ما سبق به [5] .

٢ ـ الجنوب

أما الجنوب فقد ذكر ابن دريد أنها ريح معروفة [6]

وقال الأزهرى : الجنوب من الرياح حارة ، وهى تهب فى كل وقت. ومهبها ما بين مهبى الصبا والدبور .

ونقل عن ابن بزرج وعن الأصمعى وعن ابن السكيت وعن عماره [7] .

وقال الزمخشرى: إنها ريح [8].

وذكر ابن منظور أنها ريح ، ونقل عن ثعلب وعن ابن الأعرابى وعن الأصمعى وعن عمارة وعن التهذيب للأزهرى وعن الصحاح للجوهرى ما يدل على أنها ريح ، وأنها عند سيبويه اسم وصفة ، وعارض الفارسى فى هذا [9].

وذكر الفيروز ابادى أن الجنوب ريح تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا [10]

---

(١) التهذيب للأزهرى ١١ / ٣٧١

(٢) أساس البلاغة للزمخشرى مادة شمل .

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة شمل .

(٤) القاموس المحيط للفيروزابادى مادة شمل .

(٥) تاج العروس للزبيدى مادة شمل .

(٦) الجمهرة ١ / ٢١٥ .

(٧) التهذيب ١١ / ١١٩ .

(٨) أساس البلاغة مادة جنب .

(٩) لسان العرب مادة جنب .

(١٠) القاموس المحيط مادة جنب

وقال الزبيدى إن الجنوب على وزن صبور ريح تخالف الشمال ، تأتى من يمين القبلة[١] .

ثم ردد المعجم الكبير ما ذكرته المعاجم السابقة ، ولم يذكر أن الجنوب جهة[٢].

كذلك اتفق شراح القصائد الطوال الجاهلية المسماة بالمعلقات على أن الشمال والجنوب ريحان ، فى شرحهم لبيت امرىء القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

أى لم يدرس رسمها لما نسجته من الجنوب والشمال ، فهوباق .

وكان الأصمعى يذهب إلى أن الريحين إذا اختلفتا على الرسم لم تعفياه ، ولو دامت عليه واحدة لعفته ، لأن الريح الواحدة تسفى على الرسم فيدرس ، وإذا اعتورته ريحان فسفت عليه إحداهما فغطته ثم هبت الأخرى كشفت عن الرسم ما سفت الأولى .

فى نسجت ذكر الريح ، لأنه لما ذكرت المواضع والنسج والرسم دلت على الريح ، فكنى عنها لدلالة المعنى عليها[٣].

ولكن فى لسان العرب وفى تاج العروس تعبيراً آخر جديراً بالانتباه إليه والحرص عليه ، هو : هذا أمر لأهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هو فى جهتى الشمال والجنوب[٤].

فى هذا النص اللغوى الفريد دلالة على أن الشمال جهة ، وعلى أن الجنوب جهة .

وسيتضح من أقوال الجغرافيين جميعاً الشمال والجنوب جهتان ، كما أن الشرق والغرب جهتان .

ثانيا : فى مؤلفات الجغرافيين والمؤرخين

أما علماء الجغرافية — وهم ذوو الاختصاص — فقد نقلت آراء طائفة منهم ، مرتبة ترتيباً زمنياً لنتبين دلالة كل من الكلمتين منذ استعملوها .

١ — قال ابن خرداذبه ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م) : ... وهو من القطب الشمالى عن يساره إلى وسط المشرق ...[٥].

وقال : حد القسطنطينية من الجنوب بحر الشام ، ومن الشمال بحر الخزر ... وحد تراقية من المشرق السور ومن الجنوب عمل مقدونية ، ومن الشمال بحر الخزر .

---

(١) تاج العروس مادة جنب .
(٢) أصول المعجم الكبير (لم يطبع) مادة جنب . أما مادة شمل وشمال فلم يحن جمعها بعد .
(٣) شرح القصائد السبع الطوال . ابن الأنبارى ٣٢٨ هـ (٩٣٩ م)
وشرح القصائد السبع للزوزنى ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) .
وشرح القصائد العشر للتبريزى ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م) .
(٤) لسان العرب وتاج العروس مادة شرق .
(٥) المسالك والممالك لابن خرداذبه.

وعمل مقدونية حده من المشرق السور ومما يلى الجنوب بحر الشام[1] .

وقال : رومية لها ثلاثة جوانب ، منها الشرقى والجنوبى والغربى فى البحر والجانب الشمالى يلى البحر[2] .

وهذه نصوص قديمة فيها كلمة الشمال والشمالى والجنوب والجنوبى للدلالة على الجهة.

٢ — وقال الهمذانى — أبو عبد الله أحمد ابن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه — حوالى ٢٩٠ هـ (١٩٠٣ م)[3] :

عرض الأرض من القطب الجنوبى .... إلى القطب الشمالى[4] ...

وقال : والبحر الجنوبى[5] ..

وقال : ... اليمامة واديان يصحبان من مهب الشمال ويفرقان فى مهب الجنوب[6] .

فوصف القطبين بأنهما شمالى وجنوبى .

ووصف البحر بأنه جنوبى .

وعين واديين بأنهما ينبعان من مهب الشمال ، ويصبان فى مهب الجنوب ولا معنى للمهب إلا أنه مكان الهبوب أى الجهة .

٣ — وقال الهمدانى ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب :

فجنوبيها اليمن ، وشماليها الشام[7].

وقال : تظهر على أهل الجنوب كواكب لا يراها أهل الشمال ، ويظهر على أهل الشمال ما لا يراه أهل الجنوب [8].

وقال : فإذا مالت الشمس فى الشمال ..... سقطت الأظلال بها إلى الجنوب ، وإذا مالت... سقطت أظلالها إلى الشمال[9] .

٤ — وقال المسعودى ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) : « وأما أهل الربع — ربع الأرض — الشمالى » وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الواغلين فى الشمال كالصقالبة والإفرنجة . . .

وأما أهل الربع الجنوبى كالزنج[10] . . .

---

(١) المصدر السابق ١٠٥

(٢) المصدر السابق ١١٣

(٣) الهمذانى بالذال المعجمة لم تعرف سنة وفاته ، ولكن المعروف أنه انتهى من تأليف كتابه (البلدان) سنة ٢٨٩ هـ عقب وفاة الخليفة المعتضد . وهو كتاب ضخم فى خمسة أجزاء فى حوالى ألفى صفحة ، وقد اختصره على الشيزرى سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢ م) راجع بروكلمان ٤ / ٢٣٨ والأدب الجغرافى العربى تأليف : اغناطيوس كراتشكوفسكى ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ١٦٢ ومعجم الأدباء ٤ / ١٩٩ ، والأعلام للزركلى ، والفهرست لابن النديم ٢١٩ وذكر معجم المؤلفين أنه توفى سنة ٣٦٥ هـ .

(٤) البلدان للهمذانى ٥

(٥) المصدر السابق ٧

(٦) المصدر السابق ٥٨

(٧) صفة جزيرة العرب للهمدانى (الهمذانى بالدال المهملة) .

(٨) المصدر السابق ٣

(٩) المصدر السابق ١١

(١٠) التنبيه والإشراف للمسعودى ٢٢

قسمت الحكماء الأرض إلى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب . . . فوحدوا العمران من موضع خط الاستواء إلى ناحية الشمال . . . فبعرض ما بين الشمال والجنوب[1].

وقال : فما كان من الفلك آخذاً من الجنوب إلى الشمال يسمى العرض، وما كان آخذاً من الشرق إلى الغرب يسمى الطول [2].

٥ ــ وقال الإصطخرى ٣٤٦هـ (٩٥٧م) :

وقسمة الأرض على الجنوب والشمال ... فما كان فى حد الشمال من هذين القسمين فأهله بيض، وكلما تباعدوا فى الشمال ازدادوا بياضاً . . . وما كان مما يلى الجنوب من هذين القسمين فإن أهله سود ، وكلما تباعدوا فى الجنوب ازدادوا سواداً [3].

٦ ــ وقال المقدسى ٣٧٥ هـ (٤٠٥ م) :

... القطب الجنوبى ... إلى الشمال ، ... فالخلق على الربع الشمالى من الأرض ، والربع الجنوبى خراب[4] .

٧ ــ وقال أحمد بن محمد المرزوقى الأصفهانى ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) :

أحد السماكين جنوبى وهو الأعزل ، والآخر وهو الرامح شمالى . . . منحدرة من الجنوب .

ونقل عن الفرّاء قوله : البوارج الرياح الصيفية ، وسميت بذلك لأنها هى السموم التى تأتى من الشمال . . . وجهة القطب الجنوبى وجهة القطب الشمالى . . . والتى تهب من جهة القطب الجنوبى هى الجنوب ، والنعامى وهى تهب من جهة القطب الشمالى وتسمى الشمال [5] .

وتكرر هذا فى مثل قوله : ولكنى أعنى بالشمال والجنوب اللذين هما عن جانبى خط الاستواء[6] .

فترددت فى كتابه كلمة الشمال والشمالى وكلمة الجنوب والجنوبى .

٨ ــ وقال البيرونى ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) :

... عند تناهى قرب الشمس من القطب الشمالى[7] .

وقال : . . . البلاد المصاقبة لمقرهم فى مشارق الأرض وشمالها [8] .

٩ ــ وقال الإدريسى ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) :

والخلق بجملته على الربع الشمالى من الأرض وأيضاً فإن الربع الجنوبى غير مسكون[9] .

وقال : إلى شمال التيه . . . إلى جنوب وسطها . . . فيمر فى جهة الشمال . . . فيتصل من جهة الجنوب بأرض هرقلية [10] .

---

(١) مروج الذهب للمسعودى ١ / ٨٦
(٢) المصدر السابق ١ / ٨٩
(٣) المسالك والممالك للاصطخرى ١٦ .
(٤) أحسن التقاسيم للمقدسى ٥٩
(٥) الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١ / ٢١٦
(٦) المصدر السابق ٢ / ٨٥
(٧) الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى ٨
(٨) المصدر السابق ٣٦
(٩) نزهة المشتاق للادريسى ٨
(١٠) المصدر السابق ١١

١٠ — وقال ياقوت الحموى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) :

الخلق فى الربع الشمالى من الأرض ، والربع الجنوبى خراب . . . العمران فى الجانب الشمالى من الأرض أكثر منه فى الجانب الجنوبى ، ويقال : إن فى الشمالى أربعة آلاف مدينة ، وإن كل نصف من الأرض ربعان ؛ فالربعان الشماليان هما النصف المعمور . . . فهذا الربع غربى شمالى . . . فهذا الربع شرقى شمالى ، وكذلك النصف الجنوبى فهو ربعان : شرقى جنوبى... وربع غربى لم يطأه أحد(١) .

واختلف قوم فى هذه الأقاليم السبعة : فى شمال الأرض وجنوبها أم فى الشمال دون الجنوب . وذهب الأكثرون إلى أن الأقاليم السبعة فى الشمال دون الجنوب ، لكثرة العمارة فى الشمال وقلتها فى الجنوب ، ولذلك قسموها فى الشمال دون الجنوب(٢) .

١١ — وقال ابن سعيد المغربى (- على ابن موسى) ٦٨٥ هـ (١٣٨٦ م) :

عرض المعمور أقصاه فى الجنوب إلى أقصاه فى الشمال ٨٠ درجة ، وما بعد ذلك فى الجنوب لا يسكن ، لقوة حرارة الشمس . . . وما بعده فى الشمال لا يسكن ، لقوة البرد والجمد .

ومجموع المعمور مقسوم على تسعة أقسام . المعمور خلف خط الاستواء إلى الجنوب . . . إلى أقصى العمارة فى الشمال(٣)

وقال : المعمور خلف خط الاستواء إلى الجنوب عرضه ١٦ درجة ، لا يظهر فيه البحر المحيط من المغرب الأقصى ، ولا فى الجنوب .

وقال : كما تدخل إليها خمسة أنهار من الجانب الشمالى(٤) .

وقال : وتحتها بمصر نيل مقدشو الخارج فى شمال الخط . . . ومجالات أكراو فى شمالها (٥) .

وقال : المعمور من الأرض فى شمالى الأقاليم السبعة(٦) .

ولقد ردد ابن سعيد الدلالة على جهة الشمال وعلى جهة الجنوب بقوله الشمال والجنوب تارة ، والشمالى والجنوبى تارة ، كما فعل كثير من سابقيه .

١٢ — وأجتزئ من أبى الفداء ٧٣٢ هـ (١٣٣٠ م) بقوله :

خط الاستواء يفصل الأرض بنصفين ،

---

(١) معجم البلدان لياقوت ١ / ١٩

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٥

(٣) بسط الأرض فى الطول والعرض لابن سعيد ١١

(٤) المصدر السابق ١٢

(٥) المصدر السابق ١٣

(٦) المصدر السابق ١٣٣ .

أحدهما شمالى . والآخر جنوبى .... أحد الشماليين هو الربع المسكون ..... وأما جنوب المغرب فإنه لم يصل أحد فيه إلى البحر ، وكذلك شمال المشرق[1].

١٣ ــ وهكذا ترددت كلمة الشمال والشمالى والجنوب والجنوبى فى نهاية الأرب للنويرى ٧٣٢ هـ (١٣٣٠ م)[2].

وفى مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى[3] ٧٤٨ هـ (١٣٤٦ م) .

وفى رحلة ابن بطوطة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م)[4]

وفى مقدمة ابن خلدون ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م)[5]

وفى صبح الأعشى للقلقشندى[6]، وقد ذكر أن أهل مصر يسمون جهة الجنوب القبلية ؛ لأنها فى جهة قبلتهم ، ولهذا يبدأون بها فى التحديد[7]..

لعل فيما سبق ما يعزز الصواب فى إطلاق الشمال والجنوب على الجهتين المكملتين للجهات الأربع ، ولأنه ليس فى اللغة ما يمنع هذا الإطلاق ، على الجهة وعلى الريح التى تهب منها .

وإذا كانت كل من الكلمتين قد سمى بها نوع من الريح فإن هذا لا يمنع من أن الريح سميت بالجهة التى تهب منها ، فالشمال جهة ، والشمال أيضاً الريح التى تهب من تلك الجهة ، وكذلك الجنوب .

وإنه ليزيد هذا تعزيزاً .

١ ــ أن ابن منظور والزبيدى ذكرا فى مادة شرق أن الشمال والجنوب جهتان .

٢ ــ وأن المرزوقى الأصفهانى نقل فى كتابه الأزمنة والأمكنة عن الفراء قوله :

البوارج الرياح الصيفية ، وسميت بذلك لأنها هى السموم التى تأتى من الشمال[8] . فجاءت كلمة الشمال فى هذا النص المنقول عن الفراء دالة على الجهة .

٣ ــ جاء فى لزوميات أبى العلاء المعرى قوله :

فيا دار الخسار ألا خـــــلاص

فأذهب فى الجنوب أو الشمال

والجنوب والشمال هنا جهتان لا ريحان .

٤ ــ ثم إن علماء الجغرافية أجمعوا على على أن كلا من الشمال والجنوب جهة معينة.

وتردد فى مؤلفاتهم كلمات الشمال والشمالى والجنوب والجنوبى كما سبق .

وعجب أنه لم يرد فى المعاجم اللغوية إطلاق الشمال والجنوب على الجهتين ، كما جاء إطلاق الشرق والغرب ، مع أن مؤلفى هذه المعاجم منذ ابن دريد مؤلف الجمهرة ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) والأزهرى مؤلف التهذيب

---

(١) تقويم البلدان لأبى الفدا ٥ (٢) نهاية الأرب ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٧

(٣) مسالك الأبصار ١ / ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ (٤) رحلة ابن بطوطة فى مواضع متفرقة .

(٥) مقدمة ابن خلدون ٤٢٥ ، ٤٣٤ ، ٤٥٠ ، ٤٨٦ . (٦) صبح الأعشى ٣ / ٢٢٤ .

(٧) يقصد تحديد الأرض الزراعية وغيرها . (٨) الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١ / ٢١٦ .

٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) إلى الزبيدى مؤلف تاج العروس ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) . عاصروا الجغرافيين الذين أطلقوا كلمتى الشمال والجنوب على الجهتين[1]، أوعاشوا بعدهم وكان من البديهى أن يطلعوا على مؤلفاتهم وأن يطلقوا الشمال والجنوب على الناحيتين المعروفتين كما أطلقوا الشرق والغرب ، أو ينقلوا عن علماء الجغرافية هذا الإطلاق وربما كانت المشكلة تبدو أهون وقعا وأقل تعقيدا لو أن اللغويين لم يطبقوا جميعا على أن الشمال والجنوب ريحان ، على حين أن علماء الجغرافية أجمعوا على أن الشمال والجنوب ناحيتان أو جهتان .

ولكن هذا التعقيد سرعان ما يزول إذا ما دللنا بكلمة الشمال على الجهة المعروفة وعلى الريح التى تهب منها ، فهى الريح الشمال ، أو هى الشمال ، وإذا ماأطلقنا كلمة الجنوب على الناحية وعلى الريح التى تهب منها ، فهى الريح الجنوب ، أوهى الجنوب ؛ لأنها اسم وصفة كما سبق وإن عارض فى هذا الفارسى .

ولهذا يصح تفسير بيت امرئ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لمـا نسجتها من جنوب وشمأل

بأن رسم الطلل باق لأنه معرض لريحين متقابلتين تهبان عليه هما الريح الجنوب والريح الشمال ، أوهما الجنوب والشمال ، لأن إحداهما تعرى الرسم والأخرى تكسوه .

أحمد الحوفى
عضو المجمع

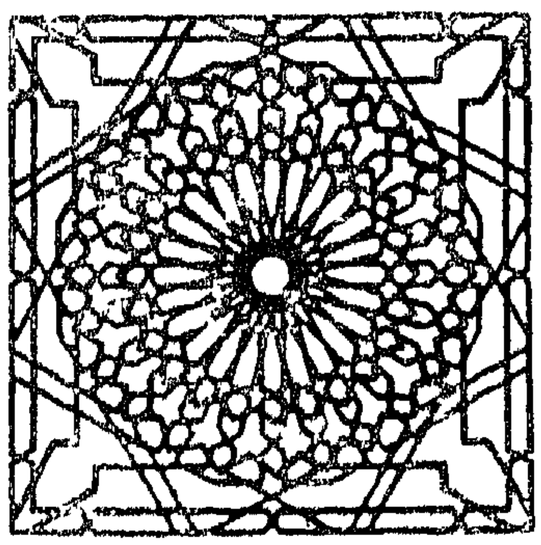

---

(١) مثل ابن خرداذبه ٢٨٠ هـ والهمدانى ٣٣٤ هـ والمسعودى ٣٤٦ هـ والاصطخرى ٣٤٦ هـ والهمذانى ٣٦٥ هـ والمقدسى ٣٧٥ هـ والمرزوقى الأصفهانى ٤٢١ هـ والبيرونى ٤٤٠ هـ .